

# الأوركسترا صورة طبق الأصل من المجتمع البشري

## «كونترباس» باتريك زوسكيند الآلة التي أضحت لعنة على عازفها



هذه الآلة تجبره على أن يعيش في الظل

السويسرية. زوسكيند مشهور ومجهول في آن واحد. لا يعرف القراء سوى صورتين لهذا الكاتب الأسطورة، ومنهما يستشف المرء ملامح إنسان جحول زائف النظرة، إنسان يريد ألا يزججه أحد أو أن يفسد عليه خلوته. ومثلما ينقر زوسكيند من الناس، فإنه يرفض الجوائز الأدبية - وهو بحاجة إليها.

وتموذج طفولة. وبلغت جريس إلى سمة أخرى تميز زوسكيند، وهي «إبتهاده التام عن التدخل في الحياة العامة أو في السياسة، وعدم سماحه لأحد بأن يتدخل في حياته، لا من قريب ولا من بعيد، ولا حتى من أجل الدعاية لأدبه. لا أحد يعرف أين يسكن الكاتب. من يريد أن يرسله، عليه أن يكتب لدار النشر

أحداث «طبل الصفيح» لغونتر غراس - مثلاً - إلا في ألمانيا، وهو ما ينطبق على أعمال كبار الروائيين الألمان بعد الحرب العالمية الثانية، مثل هاينريش بل في روايته «أراء مهرج»، وأوه يونسون في رابعته المشهورة «أيام عام»، وزيغفريد لنتس في رواية «حصنة اللغة الألمانية»، وكريستا فولف في «السماء المقسمة»

وليس هناك عازف لا نجد آثار لكلمات القدر مطبوعة على وجهه. إنه يرى نفسه ضحية العائلة والظروف والمجتمع. ومع تنامي شعور العازف بالتفاهة - في الحياة كما في الأوركسترا - يقع فريسة لجنون الاضطهاد، ويتخيل أن العالم كله يترصد.

لا يتبقى له إلا الحلم بتحقيق شيء هائل لأفت للانتظار، ليقف ولو مرة واحدة في دائرة الضوء. وبالرغم من أن موضوع المسرحية «غربي»، إذ يتطلب من المخرج ومن الجمهور معرفة جيدة بالتراث الموسيقي الكلاسيكي، إلا أنها قادرة على مخاطبة الإنسان في كل مكان، لأن «عازف» زوسكيند ينجح في إيهامنا أن مشاكله الشخصية والمهنية في الأوركسترا هي صورة لمشاكلنا نحن، فالأوركسترا بترتيبها الهرمي، وكما يقول العازف الذي يجهد المشاهد اسمه هي «صورة طبق الأصل من المجتمع البشري».

### المشهور المجهول

حول سر نجاح زوسكيند يشير جريس أن أعمال زوسكيند تتسم بسمات مميزة، كما تتسم كتاباته بنكهة خاصة جداً. زوسكيند يجمع في أعماله بين المعلومات الغزيرة التي يثرها في ثانياً عمله واللغة المحملة بالرموز والإيحاءات، وبين الأسلوب التشويقي السلسي والعالم الغرائبي لاسيما في روايته «الخطر».

إنه يوازن بين طموحه الأدبي وبين النجاح الذي يبتغيه لدى الجمهور العريض، وهو ما تحقق له بصورة خاصة في «الكونترباس» وفي «الخطر». في ثانياً أعماله ينثر زوسكيند معلومات مدروسة جيداً في «الكونترباس» عن الموسيقيين الكلاسيكيين وتطور الأوركسترا وأعمال مشاهير الموسيقيين، وفي «الخطر» عن الروائع وفرنسا القرن الثامن عشر.

يقول زوسكيند ذلك دون إنقال على القارئ ودون إملا، ودون أن يتحول العمل الأدبي إلى ساحة لاستعراض معلومات المؤلف النظرية الجافة. ويرى أن زوسكيند يتعد ذلك - ربما عمداً - عن الموضوعات التي تتماس مع السيرة الذاتية وهمومها وشكاواها، على القريض من القسم الأعظم من كتاب ألمانيا وقت ظهور أعمال زوسكيند، كما أن أعماله تتناول موضوعات إنسانية عامة، يمكن أن تحدث في أي دولة، أوروبية أو غير أوروبية؛ بينما لا يمكن تخيل العازف نفسه مجبراً على العمل مع الأوركسترا، جالساً في الخلف، ومن مكانه يصب جام غضبه وإحباطات حياته على كل الناس، ونحو كافة الاتجاهات: إنه يلعن المايسترو والحفلات الموسيقية والعازفين النجوم وكبار المؤلفين الموسيقيين لاسيما ريشارد فاغنر، الموسيقار الأثير لدى هتلر. يرى أن هذه الآلة أضحت كاللعنة التي لا تفارق حتى عندما ينفرد بعشيقته. عزف الكونترباس هو نوع من القدر الذي يحني العازف أمامه جبهته. يقول بطل المونودراما إنه من بين ثمانية عازفي كونترباس ليس هناك واحد لم يتجرع كؤوس السكار والهوان،

بدأت شهرة الكاتب الألماني باتريك زوسكيند، مؤلف الرواية الشهيرة «الخطر»، بمنودراما كتبها بعنوان «الكونترباس» حيث تم بثها أولاً تمثيلية إذاعية، وأثر ذلك وجدت طريقها إلى خشبة أحد مسارح ميونخ، قبل أن تصدر في كتاب عام 1984. وأخيراً صدرت في نسختها العربية في أول ترجمة لها.



محمد الحماصي  
كاتب مصري

مقالات وتاملات. تسأل كثيرون عندئذ: ماذا يفعل هذا الكاتب منذ التسعينات وحتى اليوم؟ كيف يقضي يومه؟ بأي شيء يشغل نفسه؟ ماذا يقرأ؟ وهل ما زال يكتب؟ ولماذا توقف هذا «الطفل المعجزة» - مثلما أطلق عليه البعض - عن الكتابة؟. ويوضح جريس أن زوسكيند في مستهل «الكونترباس» نشاهد رجلاً في منتصف العقد الرابع، يجلس وحيداً في غرفة ذات جدران عازلة للصوت، تكاد تخلو من كل شيء إلا من آلة الكونترباس الضخمة الحجم، العميقة الصوت؛ هي رفيقته في السراء والضراء. يجدها وينطقها بالعزف البارح، ويفتخر بدورها في الأوركسترا، «فبدوننا لا نستطيع أي أوركسترا أن تعزف شيئاً». لكن هذا الاعتزاز الشديد بالآلة الموسيقية، يقابله كره دفين لها، لأنها في نظره أصل كل بلاء في حياته. إنها هي التي تجعله يجلس وراءها في الصف السادس أو السابع من الأوركسترا، لا يكاد يشعر به أو يعزفه أحد.

### عازف في الظل

على العكس من الآلات الأصغر حجماً، كالكمان مثلاً، أو الأعلى صوتاً، مثل الطبل الكبير. هذه الآلة تجبره على أن يعيش في الظل. يعلم العازف أنه لن يقف أبداً في دائرة الضوء عازفاً منفرداً، فلم يحدث أن ألف بيتهوفن أو موتسارت أو تشايكوفسكي، أو أي موسيقار مشهور، مقطوعة منفردة للكونترباس. لذلك يجد العازف نفسه مجبراً على العمل مع الأوركسترا، جالساً في الخلف،

ومن مكانه يصب جام غضبه وإحباطات حياته على كل الناس، ونحو كافة الاتجاهات: إنه يلعن المايسترو والحفلات الموسيقية والعازفين النجوم وكبار المؤلفين الموسيقيين لاسيما ريشارد فاغنر، الموسيقار الأثير لدى هتلر. يرى أن هذه الآلة أضحت كاللعنة التي لا تفارق حتى عندما ينفرد بعشيقته. عزف الكونترباس هو نوع من القدر الذي يحني العازف أمامه جبهته. يقول بطل المونودراما إنه من بين ثمانية عازفي كونترباس ليس هناك واحد لم يتجرع كؤوس السكار والهوان،

ويضيف أن «زوسكيند يمثل ظاهرة فريدة بين الكتاب الألمان، فهو لم ينشر سوى أعمال قليلة تخصي على أصابع اليد الواحدة، إلا أنها حققت شهرة عالمية مذهلة، لاسيما مسرحيته هذه «الكونترباس» (1980)، وروايته الوحيدة «الخطر» (1985). بعد ذلك انتظر القراء طويلاً أن يكتب زوسكيند مسرحية جديدة، أو رواية أخرى يواصل بها نجاحه العالمي، لكنه خيب آمال قرائه، ولم ينشر إلا قصصاً طويلة وقصيرة، من أشهرها «الحمامة» و«هوس العمق»، وفي السنوات الأخيرة نشرت له عدة

ويضيف أن «زوسكيند يمثل ظاهرة فريدة بين الكتاب الألمان، فهو لم ينشر سوى أعمال قليلة تخصي على أصابع اليد الواحدة، إلا أنها حققت شهرة عالمية مذهلة، لاسيما مسرحيته هذه «الكونترباس» (1980)، وروايته الوحيدة «الخطر» (1985). بعد ذلك انتظر القراء طويلاً أن يكتب زوسكيند مسرحية جديدة، أو رواية أخرى يواصل بها نجاحه العالمي، لكنه خيب آمال قرائه، ولم ينشر إلا قصصاً طويلة وقصيرة، من أشهرها «الحمامة» و«هوس العمق»، وفي السنوات الأخيرة نشرت له عدة

ويضيف أن «زوسكيند يمثل ظاهرة فريدة بين الكتاب الألمان، فهو لم ينشر سوى أعمال قليلة تخصي على أصابع اليد الواحدة، إلا أنها حققت شهرة عالمية مذهلة، لاسيما مسرحيته هذه «الكونترباس» (1980)، وروايته الوحيدة «الخطر» (1985). بعد ذلك انتظر القراء طويلاً أن يكتب زوسكيند مسرحية جديدة، أو رواية أخرى يواصل بها نجاحه العالمي، لكنه خيب آمال قرائه، ولم ينشر إلا قصصاً طويلة وقصيرة، من أشهرها «الحمامة» و«هوس العمق»، وفي السنوات الأخيرة نشرت له عدة

### باتريك زوسكيند يجمع في أعماله بين المعلومات الغزيرة التي ينثرها في ثانياً عمله واللغة المحملة بالرموز والإيحاءات

ويضيف أن «زوسكيند يمثل ظاهرة فريدة بين الكتاب الألمان، فهو لم ينشر سوى أعمال قليلة تخصي على أصابع اليد الواحدة، إلا أنها حققت شهرة عالمية مذهلة، لاسيما مسرحيته هذه «الكونترباس» (1980)، وروايته الوحيدة «الخطر» (1985). بعد ذلك انتظر القراء طويلاً أن يكتب زوسكيند مسرحية جديدة، أو رواية أخرى يواصل بها نجاحه العالمي، لكنه خيب آمال قرائه، ولم ينشر إلا قصصاً طويلة وقصيرة، من أشهرها «الحمامة» و«هوس العمق»، وفي السنوات الأخيرة نشرت له عدة

## أمسية شعرية افتراضية في دار الشعر بتطوان

الأثري، والذي يعود إلى نحو 800 سنة قبل الميلاد. الموقع الذي احتضن أقدم وأروع الحدائق في تاريخ الإنسانية، وهي «حدائق هسبريس»، كما تعبر عنها أسطورة التفاحات الثلاث، أو الجميلات الثلاث، مثلما صورتها الجدارية التاريخية المعلقة على مقر دار الشعر بتطوان.

### الأمسية تأتي احتفاء بالشعراء المشاركين واحتفالاً بالحدائق بما هي فضاءات شعرية طالما أثرت وأغنت خيال المبدعين

وتذكر أن حدائق الشعر من البرامج الشعرية الكثيرة التي أطلقتها دار الشعر بتطوان، منذ تأسيسها، قبل أربع سنوات من اليوم، ومنها برنامج «ليالي الشعر» وبرنامج «شاعر في الذاكرة»، و«ليالي الزجل» و«الأطلال: قراءات شعرية في مواقع أثرية»، و«ديوان»، و«توقيعات»، و«ندوات» و«شاعر وناقد»، و«العدد الأخير»، و«بحور الشعر»، وسواها من البرامج الثقافية والشعرية التي احتضنتها تزيد من 15 مدينة مغربية.

تطوان (المغرب) - تنظم دار الشعر بتطوان أمسية شعرية جديدة عن بعد بعنوان «حدائق الشعر»، بمشاركة الشاعر حس بنزيان والشاعرة فاطمة الزهراء بنيس والشاعر مفيد عطيمو. بينما تقام هذه الأمسية في حديقة المتحف الأثري للمدينة، وفي فضاء دار الشعر بتطوان، وتبث الأربعاء 17 يونيو الجاري.

ويقدم الشاعر المغربي حسن بنزيان تجربة شعرية أصيلة، تحثي بإيقاع الشعر العربي ومعجمه التقليدي، مع الكثير من مظاهر النحت والتجديد. كما تيقن فاطمة الزهراء بنيس من الشاعرات المغربيات الأكثر حضوراً في المشهد الشعري المعاصر بالمغرب. في حين يكتب الشاعر مفيد عطيمو قصيدة مغربية ناطقة بالإسبانية، وهي تربط بخيط رفيع بين الشعرية الأندلسية الإسبانية والشعرية الأمريكي-لاتينية. تأتي هذه الأمسية احتفاءً بالشعراء المشاركين، واحتفالاً بالحدائق بما هي فضاءات شعرية طالما أثرت وأغنت خيال المبدعين عبر تاريخ الإنسانية، وخاصة في المغرب والأندلس. بينما تعد حديقة المتحف الأثري، حيث يوجد مقر دار الشعر بتطوان، تراثاً إنسانياً عالمياً، منذ 1997، والحال أنها تضم عدداً من الجداريات والرسومات والتحف التي نقلت من موقع ليكسوس

## ملتقى دولي حول الخارطة اللسانية الأمازيغية في الجزائر

### وضع خارطة لسانية أمازيغية بإشراك كل المختصين سيسهم في وضع استراتيجية ناجحة لتطوير وترقية هذه اللغة

أهمها الخارطة اللسانية الأمازيغية في شمال أفريقيا بين الماضي الموحّد المشترك والحاضر المجزأ المنفصل بواقع الحدود السياسية، والخارطة اللسانية في الجزائر من خلال جرد وإحصاء وتحديد التنوعات اللسانية الأمازيغية المتداولة في الجزائر، في إطار استراتيجية وطنية للتكفل بتربيتها وتطويرها وإثراء التنوع الثقافي الأصيل الذي تشحنه.

كما يناقش الملتقى قضايا الأطلس اللساني الأمازيغي المنطوق في الجزائر، والسياسة اللسانية في الجزائر من خلال التشريعات والنصوص القانونية وجهود السلطة في ترقية المكونات اللسانية للهوية الجزائرية، والتغيرات اللسانية في التنوعات اللسانية الأمازيغية (البنية اللغوية، المتميزات النطقية، الدلالة، التراكيب، الصوتيات، العروض والأوزان)، والتوافق والتداخل اللغوي بين التنوعات اللسانية الأمازيغية في الجزائر.

من الواقع السوسيو أنثروبولوجي المتميز بالاندواجية اللغوية، وهو مبرر كاف لإقرار القطيعة مع المنظور الأيديولوجي السائد في هذه المسألة التي هي أصلاً من موروثات الحقبة الاستعمارية. وقد عرفت العديد من الدول تجارب من هذا القبيل مثل بلجيكا التي تتعايش فيها الفرنسية والهولندية والألمانية كلغات رسمية، وفي سويسرا تتعايش الألمانية والفرنسية والإيطالية والرومانية، كما تتعايش في نيجيريا العديد من اللغات المحلية في جانب اللغة الإنجليزية، باعتبارها اللغة الرسمية.

ويرى منظمو الملتقى أنّ وضع خارطة لسانية أمازيغية بالجزائر، يُعدّ محطة مهمة لبعث مخطط شامل وضروري يترجم ترسيم الأمازيغية في الميدان، كون هذه الخارطة تشكل الأرضية لانطلاق أي سياسة لسانية مبنية على أسس علمية ممكنة التجسيد على أرض الواقع.

كما يؤكد المنظّمون على أنّ الوصول إلى وضع خارطة لسانية أمازيغية دقيقة، بإشراك كل المختصين الفاعلين في هذا الميدان، من شأنه الإسهام في وضع استراتيجية ناجحة لتطوير وترقية اللسان الأمازيغي في الجزائر بصفة خاصة، وعلى المستوى المغاربي والأفريقي، عموماً. وتتنوّع أعمال هذا الملتقى على أحد عشر محوراً

الصراعات الإيديولوجية التي تعرقل ترقيقها وتطويرها. ويعدّ التعايش اللساني بين التنوعات اللسانية الأمازيغية، فيما بينها من جهة، وبينها وبين اللغة العربية من جهة ثانية، من مظاهر الانسجام والتوافق التي تميّز الأمة منذ قرون خلت إلى يومنا هذا.

وتعتبر الجزائر من الدول التي تعيش ظاهرة التعددية اللغوية (العربية والأمازيغية)، وهذا التنوع اللغوي يستوجب المحافظة عليه لأنه يمثل الكنز الحقيقي الجدير بالتمتين. ولهذا، كان لا بد من تكريس سياسة لغوية نابغة



اللغة الأمازيغية تنوع ثقافي